الزهراء: مجلة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية والعربية
e-ISSN: 2502-8871
p-ISSN: 1412-226X
DOI: http://dx.doi.org/10.15408/zr.v22i1.43987
السنة الثانية والعشرون، العدد : ١، ١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م
هذا المنشور متاح مجانا بموجب ترخيص نسبة المصنف إلى مؤلفه CC-BY-SA
https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/

Qīmat al-ʿAdl wa-Atharuhā fī Bināʾ al-Insān min Khilāl Sūrat al-Nisāʾ: Dirāsah fī al-Tafsīr al-Mawḍūʿī

◊ يوسف إبراهيم ضياء[١]
◊ فوزان عظيم[٢]

[١] *الجامعة الإسلامية بالنيجر – النيجر*
diassy2014@gmail.com
[٢] *معهد الإسلام الديني الحكومي كودوس – إندونيسيا*
fauzanadim@iainkudus.ac.id

تاريخ إصدار المقال :
تاريخ الاستلام: ٤ يناير ٢٠٢٥
تاريخ المراجعة: ١٧ مارس ٢٠٢٥
تاريخ القبول: ٣ يونيو ٢٠٢٥

الكلمات المفتاحية:
قيمة العدل، بناء الإنسان، سورة النساء، التفسير الموضوعي

الملخص

يأتي هذا البحث من منطلق الإرادة والرغبة المؤكدين في دراسة الهدايات القرآنية لبناء الإنسان من خلال بيان قيمة العدل في سورة النساء. لو نظرنا نظرة شاملة وسريعة إلى الهدايات القرآنية في سورة النساء ومعارفها وأهدافها، اتضح لنا بجلاء أهمية العدالة حيث بينت وأظهرت أصولها وكلياتها وجزئياتها الأخلاقية والإنسانية والسياسية والاجتماعية والحقوقية والقضائية والدولية فردية كانت أو عائلية أو اجتماعية. فكما أن الدين كلّ الدين لا ينفك عن التوحيد فهو كذلك، لا يحيى إلا بروح العدل ولا ينفك عنه. فكل شيء يقيمه القرآن الكريم على أساس العدل والقسط ويمحوره حول قطبيهما. وهذا البحث هو بحث نوعي بالدراسة على كتب التفسير وعلومه وكتب اللغة خاصة ما تتعلق عن معنى العدل في القرآن، كما أن خذه الدراسة مدعومة بمصادر ثانوية من مقالات وكتب ومؤلفات علمية. وباستخدام منهج التحليل الوصفي توصل هذا البحث إلى أن العدل والعدالة يؤثران على بناء بناء الفرد والمجتمع والرقي بهما هدايات واضحة من خلال قضايا سورة النساء.

Al-Zahra: Journal for Islamic and Arabic Studies
e-ISSN: 2502-8871
p-ISSN: 1412-226X
DOI: http://dx.doi.org/10.15408/zr.v22i1.43987
Vol. 22, No. 01, 2025 M-1447 H
This is an open access article under CC-BY-SA license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

The Value of Justice and Its Impact on Human Development through Surah An-Nisa: A Study in Thematic Tafsir

◊ **Yousouf Ibrahim Dia**[1]
◊ **Fauzan Adim**[2]

[1]*Islamic University of Niger – Niger*
diassy2014@gmail.com
[2]*Institut Agama Islam Negeri (IAIN) Kudus – Indonesia*
fauzanadim@iainkudus.ac.id

Article History
Received: January 4, 2025
Reviewed: March 17, 2025
Accepted: June 3, 2025

Keywords
Justice Value, Human Development, Surah al-Nisa, Thematic Exegesis

Abstract

This research stems from a firm will and desire to explore the Qur'anic guidance on human development by highlighting the value of justice in Surah An-Nisa. A comprehensive and brief look at the guidance, knowledge, and objectives found in Surah An-Nisa clearly reveals the significance of justice, as the surah explains and demonstrates its fundamental, general, and detailed principles—whether ethical, human, political, social, legal, judicial, or international, on individual, family, or societal levels. Just as the essence of religion is inseparable from monotheism (tawhid), it also cannot thrive without the spirit of justice. The Qur'an establishes everything on the foundation of justice and fairness, and revolves around these two principles. This research is a qualitative study based on classical and contemporary works of Tafsir and Qur'anic sciences, as well as linguistic references particularly those related to the concept of justice in the Qur'an. It is further supported by secondary sources, including scholarly articles, books, and academic publications. Using the descriptive-analytical method, the study concludes that justice plays a significant role in the development and advancement of both individuals and societies. Surah An-Nisa offers clear guidance on this through its various themes and issues.

Abstrak

Penelitian ini berangkat dari keingintahuan untuk menggali petunjuk Al-Qur'an dalam pembangunan manusia dengan menyoroti nilai keadilan dalam Surah An-Nisa. Tinjauan menyeluruh dan ringkas terhadap petunjuk, pengetahuan, dan tujuan yang terdapat dalam Surah An-Nisa dengan jelas menunjukkan pentingnya keadilan, karena surah ini menjelaskan prinsip-prinsip dasar, umum, dan rinci dari keadilan—baik dalam aspek etika, kemanusiaan, politik, sosial, hukum, peradilan, maupun internasional, pada tingkat individu, keluarga, dan masyarakat. Al-Qur'an menegakkan segala sesuatu di atas landasan keadilan dan keseimbangan, serta memusatkan ajarannya pada dua prinsip tersebut. Penelitian ini merupakan studi kualitatif yang didasarkan pada karya-karya tafsir klasik dan kontemporer, serta ilmu-ilmu Al-Qur'an, termasuk rujukan kebahasaan, khususnya yang berkaitan dengan makna keadilan dalam Al-Qur'an dan sumber sekunder yang berkaitan. Dengan menggunakan metode deskriptif-analitis, penelitian ini menyimpulkan bahwa keadilan memiliki peran penting dalam pembangunan dan kemajuan individu maupun masyarakat. Surah An-Nisa memberikan petunjuk yang jelas tentang hal ini melalui berbagai tema dan permasalahannya.

قيمة العدل وأثرها في بناء الإنسان من خلال سورة النساء: دراسة في التفسير الموضوعي

المقدمة

أهم ركن حضاري في البناء والتنمية وأعظم أساس تقام عليه الدول والنظم الاجتماعية وغيرها هي العدالة التي جاء الإسلام حاملا لواءها ومقيما لمعالمها إقامة لافتة بين التشريعات التي نظم بها شؤون الحياة، وقد ارتبطت العدالة في منظور الإسلام بمفاهيم عدة، ويمكن تناول كل مفهوم من مفاهيم العدالة التي جاء بها الإسلام بشكل مستقل ومنفصل عن الإسلام، مثل الحقوق والحرية والنظام والأحكام التشريعية الفقهية التي نظّر لها علماء الإسلام في مجالاتهم المختلفة، والتي ظهرت في هذه السورة بشكل أساسي وواضح لكن الخيط الرابط بين تلك المفاهيم هو العدل الذي تجلّى في نظام تشريعي محكم يراعي التدرّج والواقعية بين متطلبات التنفيذ ومقتضيات الحكم.

كما أن غياب العدل في حياة الأفراد والمجتمعات فإن ذلك يؤدي إلى ضعف القيم وفساد الأخلاق، وظهور الخلاف والشقاق، وفساد ذات البين، وقطع الأرحام وقسوة القلوب ويظهر الظلم بجميع صوره ويتسلط العدو وتُهضم الحقوق وتُعطل الحدود وتنهار الدول وينحسر المد الحضاري وغير ذلك. وما تعطلت قيمة العدل في حياة أمة من الأمم إلا وحلت فيها بسبب ذلك آفات جائحة، وزوايا قاتلة، وبلايا مهلكة، وفقرا معوزا، وذلا معجزا.

قال الإمام الماورديّ رحمه الله: "إنّ ممّا تصلح به حال الدّنيا قاعدة العدل الشّامل، الّذي يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطّاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكبر معه النّسل، ويأمن به السّلطان، وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنّه ليس يقف على حدّ، ولا ينتهي إلى غاية، ولكلّ جزء منه قسط من الفساد حتّى يستكمل" (Al-Māwardī,1398 H)

وما ذلك إلا لأن العدل قانون عام للأمم كلها. فلا يمكن لأمة أن تسود في الأرض وهي ظالمة. فالعدل أساس الملك وأساس الاستقرار وأساس الازدهار. كان شيخ الإسلام ابن تيمية هو أول من أشار إلى العدل باعتباره مقصدا شرعيا، وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وأمور الناس تستقيم مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام (Ibn Taymiyyah,1416 H) .وقال أيضا: «العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بالعدل لم تَقُم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزى به في الآخرة.

فالعدل ركن المعاد والإيمان بالآخرة وهدف التشريع الإلهي السامي. وفلسفة البعثات السماوية والرسالات الربانية ومن شروط التصدي للمسؤولية التنفيذية في المجتمع الموحد. وهو من مسؤوليات الفرد الأخلاقية

والاجتماعية للإنسان المؤمن الموحد الهادف إلى بناء نفسه وبناء التاريخ، وبناء المجتمع الحضاري الذي يتطلع إليه البشرية. ومن هنا جاء عنوان هذه المقالة بعنوان "قيمة العدل وأثرها في بناء الإنسان من خلال سورة النساء: دراسة في التفسير الموضوعي".

يعتبر هذا البحث بحثا نوعيا تحليليا. والدراسة المقدمة فيه مستندة على أساس البحث المكتبي باستخدام المنهج الموضوعي للتعريف والمعاني عن العدل والعدالة والكلمات متشابهة المعنى وأثرهما في بناء الإنسان كالفرد أو المجتمع. ويرجى من اختيار هذا المنهج إيجاد المعاني الظاهرة الواضحة المتعلقة بالعدل والعدالة. من اختيار هذا المنهج إيجاد الظاهرة المتعلقة بشخصية كياهي محمد صالح دارات وأفكاره وتفسير محتواها ومعناها بمزيد من العمق. ويتم تحليل البيانات في هذا البحث بتحليل المحتوى (content analysis) أي تحليل محتويات التفسير للعدل في سورة النساء المستمدة من المصادر المكتوبة بشكل موضوعي وعلمي، لإيجاد معنى الرسالة ومغزاها.

بالإضافة إلى ذلك، يتم استخدام النظرية الاجتماعية أيضا كأساس لقراءة لمعنى العدل أو العدالة. وأما الخطوات التي يجب اتخاذها في هذا البحث هي: طلب بيانات البحث وتنظيمها وسرد معاني كلمة العدل من كتب التفسير واللغة وكتب المعاصرة عن العدل مع مقارنة وتحليلها لايجاد معناها ومغزاها. وتؤخذ خلاصة هذا البحث من خلال التفسير والاستقراء على كل هذه البيانات.

ولأهمية معرفة معاني العدل في القرآن، قد شغلت أقلام الباحثين في دراسة معانيه وظهرت غير قليل من الدراسات السابقة. ومن هذه الدراسات تركز على المفهوم اللغوي للعدل وأسلوبه في القرآن الكريم (Al-Falāḥī, 2023; Ibn Qawmār,2017 ; Al-Baqālī, 2011)كما كان هناك الدراسات السابقة عن قيمة العدل وعلاقته بالحياة الانسانية (Yūsuf, 2021; Al-Zankī ,2009; al-Ṣawāfī ,2011; Ḥamīdātū wa Ḥalīmī, 2021), ومما تتحدث الدراسات السابقة عن علاقة العدل بالقضايا المعاصرة بناء على مبادئ الإسلام والقرآن الكريم (Ḥammādī, 2018)

بناء على الدراسات السابقة المذكورة أعلاه، حاول هذا البحث إظهار معاني العدل والعدالة وإبراز أهميتهما في بناء الإنسان من خلال سورة النساء، حيث بينت وأظهرت أصولها وكلياتها وجزئياتها الأخلاقية والإنسانية والسياسية والاجتماعية والحقوقية والقضائية والدولية فردية كانت أو عائلية أو اجتماعية، بذكر مقاصد سورة النساء خاصة عن قيمة العدل والتي تتضمن عن العدل الاجتماعي ومظاهره وأثره في بناء الإنسان، وأن الإيمان والطاعة أمران أساسيان في إقامة العدل، وعكس ذلك أن خالفات اجتماعية سلبية مؤثرة في إقامة العدل والعدالة.

مفهوم العدل والقسط

العدل هو ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو اسم من أسماء الله، تعالى، إذ هو، سبحانه، لا يميل به الهوى فيجور في الحكم. والعدل الحكم بالحق. والعدل من الناس المرضيُّ قوله وحكمه وشهادته (Ibn Manẓūr, (1979 M; ibn Durayd 1991; Ibn Sīddah, 2003; Abū Ḥamāqah, 2007 M ; al-Ibānah,1999 M)، والعدل هو الاستقامة، يقال هذا قضاء عدلٌ غير حَدْل، فالحدلُ ضدُّ العدل(Ibn Sīddah, 2012) والعدل هو الإنصاف والعدل تقويم الشيء إذا مال ولو أدنى ميل، والعدل الحكمة . والعدل القسط، يقال أقسط إذا عدل وقسط إذا جار. وعَدَلَ الشيء بالشيء أي سواه به، وعَدَّلتُ الشهود: إذا قلت إنهم عدول (al-Jurjānī, 1991; al-Manāwī, 2002; al-Zūbī 2016)) والعدل هو الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وهو الاعتدال والاستقامة والميل إلى الحق, Al-Jurjānī) (1991; al-Manāwī, 2002; al-Zūbī 2016. والعدل نقيض الجور، يقال «عَدَلَ بين الخصوم أي أنصف ولم يظلم (Umar, 2000). وعلى هذه المعاني المتقاربة يدور استعمال كلمة العدل، وكلمة القسط، في لغة العرب.

المراد بالقسط: إعطاء كل ذي حق حقه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، من غير تفرقة بين المستحقين ولأهمية العدل ومنزلته، بعث الله رسله وأنزل كتبه، لنشره بين الأنام، قال تعالى: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ"، (الحديد: ٢٥) والقسط: العدل، وهو قوام الدنيا والدين، وسبب صلاح العباد والبلاد، به قامت السموات والأرض، وتألفت به الضمائر والقلوب والتأمت به الأمم والشعوب، وشمل به الناس التناصف والتعاطف، وضمهم به التواصل والتجانس، وارتفع به التقاطع والتخالف (Wizarat auqaf, d.t) .

وضعه الله تعالى لتوزّع به الأنصبة والحقوق، وتقدر به الأعمال والأشخاص، إذ هو الميزان المستقيم، الذي لا تميل كفته، ولا يختل وزنه، ولا يضطرب مقياسه، فمن رام مخالفته، وقصد مُجانيته، عرّض دينه للخبال، وعمرانه للخراب، وعزته للهوان، وكثرته للنقصان، وما من شيء قام على العدل، واستقام عليه، إلاّ أمن الانعدام، وسلم من الانهيار(Wizarat Auqaf,d.t) .

ومن أهم دعائم السعادة، التي ينشدها البشر في حياتهم، أن يطمئنوا على حقوقهم وممتلكاتهم، وأن يستقر العدل فيما بينهم، وإلاّ فلا يعرف على وجه الأرض شيء أبعث للشقاء والدّمار، وأنفى للهدوء والاستقرار بين الأفراد والجماعات، من سلب الحقوق.

إذن العدل قيمة ضرورية في الإسلام، عمل الإسلام على إثباتها، وإرسائها بين الناس، حتى ارتبطت بها جميع مناحي تشريعاته ونظمه، فلا يوجد نظام في الإسلام إلاّ وللعدل فيه مطلب، فهو مرتبط بنظام الإدارة والحكم، والقضاء، وأداء الشهادة، وكتابة العهود والمواثيق بل إنه مرتبط أيضًا بنظام الأسرة والتربية، والاقتصاد والاجتماع، والسلوك، والتفكير، إلى غير ذلك من أنظمة الإسلام المختلفة وهذا يدل بوضوح على أن الإسلام ضمن قيمة العدل في جميع مجالات الحياة، بل إنه ركز كافة أهدافه على ضوئها، مما شهد له التاريخ على سلامة المجتمعات التي حكمها،

من الانهيار الخطير في الأخلاق، وأمنها من اضطراب الموازين والمعايير، وصانها من دمار النفوس، وخراب العمران (Wizarat Auqaf, d.t).

ولقد وضح الدكتور محمد حسن جبل لمعاني العدل ومشتقاته في القرآن الكريم وانتهى بعد استقراء مواضع الاستعمال القرآني لهذه الكلمة إلى أنها ترد في مواضعها كلها بمعنى العدل الذي هو ضد الظلم، اللهم إلا في أربعة مواضع (Jabal,2010; Ibn ʻAṭiyyah, 2002) . ويذكر الإمام الدامغاني أن العدل في القرآن الكريم يفسَّر على خمسة أوجه هي: الفداء، الإنصاف، القيمة، شهادة أن لا إله إلا الله، الشرك (Ad-Damaghani; 2008).

وقد ورد لفظ العدل وما اشتق منه في القرآن الكريم، تسع عشرة مرة، مستعملا بمعاني الحكم بالحق، وضد الجور، والإنصاف، والقسط، والتسوية وما إليها، مما سبق ذكره .على أنه ينبغي التنبه دائمًا إلى أن المقاصد القرآنية هي أصل المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية. ومقاصد القرآن مبسوطة في الكتاب العزيز كله لا يقتصر البحث عنها على الآيات التي ورد فيها اللفظ الدال عليها أو المؤدي معناها، وإنما يتجاوز ذلك للوقوف عليها بين دفتي المصحف الشريف، المرة بعد المرة، ليقف الراغب في التعرف على مقاصد القرآن الكريم، كيف لا وهو الذي لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، ويظل غضًا في فم كل قارئ وقلبه ما أخلص النية في تلاوته، وقصد بها وجه الله تعالى.

مفهوم العدل من منظور الناشطات النسويات

ترى أمينة ودود وهي تُعَدّ من أبرز المفكّرات الإسلاميّات في مجال النسويّة والإصلاح الديني. تنطلق في رؤيتها من أنّ القرآن جوهريًّا يحمل مبادئ مساواة وعدل بين الجنسين، وأنّ ما حدث من تمييز وظلم إنّما نشأ نتيجة التفسير الذكوري الموروث. ففي كتابها القرآن والمرأة تؤكّد ودود أن الأصل في التعامل مع القرآن هو المساواة والحب والرحمة، كما ترى أن الشرع في جوهره كفيل بتحقيق العدالة للنساء، وأنّ مقصد الشريعة هو العدالة، فإذا تبين أن حكمًا معينًا لا يؤدي إلى العدالة يجب إصلاحه أو إعادة تفسيره. اختزال الدين فَرَضًا للتمييز، كما توضح، يأتي من التفسيرات الأبوية المقيّدة، لا من نصوص القرآن نفسها (Wadud; d. t).

كما تؤكّد ودود أن القرآن يعترف بتساوي الرجال والنساء جوهريًّا، دون أن يلغي خصوصيات كلّ منهما. فهي ترفض الأسطورة التي تقول إن المرأة مخلوقة من ضلع الرجل، وتؤكّد «أن الرجال والنساء خُلقوا من أصل واحد وليس هناك من خلق للمرأة من الرجل .وهذا يعني، كما ترى، أن الأدوار الاجتماعية والفعلية ليست مفروضة بالضرورة انطلاقًا من الجنس، بل تتحدَّد بقدرة الفِرد وبما يحقق المصلحة. فتقول بأن الدين نفسه لا يجعل المرأة تابعًا للرجل، بل إن التفسيرات الأبوية هي التي قيدت حريّات النساء بطرق عديدة وأن في القرآن لا آية تحصر مقام القيادة مثل الإمامة بالرجال فقط(Wadud; d. t).

من ناحية أخرى، تعتبر ودود أن اختلافات المرأة والرجل الفطرية كالإنجاب مثلاً، لا تتعارض مع المساواة في الحقوق. فهي ترشد إلى عدم الخلط بين الاختلافات البيولوجية الوظيفية والحقوق الجوهرية. ولهذا تؤمن أن قراءة

النص القرآني ينبغي أن تعلي من مبادئ العدالة بدلًا من تكريس الاختلاف: إذا وجدنا آيات متضاربة في النص، اختر جانب المساواة والعدالة. فإذا كان الآخرون يقرأون بعقلية أُبوية، بإمكانك أن تقرأ بعقلية المساواة والعدالة .وبهذا تضع ودود مبدأ المساواة كمفتاح لحل أي تناقض ظاهر، وتأكد أن العدالة هي ما يجب أن يقود التأويل الحقيقي للقرآن(Wadud; d. t).

وهذه الأرآء تشبها أو تؤيدها أرآء أسماء بارلاس أستاذة جامعية باكستانية بجامعة إثيكا في نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية جيث قالت بأن العدالة في الإسلام نابعة من مبدأ التوحيد؛ لأن التوحيد يُحرم إعطاء الامتيازات أو التمييز على أساس الجنس أو العرق أو الطبقة. كما ترى بارلاس أن القرآن نفسه لا يدعم الهيمنة الذكورية، بل إن التفسير الأبوي هو ما خلق الفجوة بين النص والممارسة. العدالة، في رأيها، تُستلهم من جوهر النص وليس من التأويل التاريخي(Barlas; 2002).

نبذة عن سورة النساء

سورة النساء (Al-Bukhari;1407)، واسمها الآخر سورة النساء الكبرى(Al-fairuzabadi; 1384) وعدد آياتها مائة وخمس وسبعون في عدّ الكوفيين، ومائة وستّ وسبعون في عدِّ البصريين، ومائة وسبع وسبعون في عدّ الشَّاميين(Al-Qumash, d. t) ما اختلف نزولا عن السورة من الآيات: كل آيات السورة مدنية (As- suyhuthi; 1408 .) فأما ترتيب سورة النساء نزولا فإنها تعد الثالثة والتسعين نزولا؛ حيث نزلت بعد سورة الممتحنة وقبل سورة الزلزلة ('Asyur;1984).

لقد تبوأت السورة مكانة سامقة ومنزلة رفيعة بين سور القرآن الكريم، ومما جاء في فضلها بشكل عام: قول النبي صلى الله عليه وسلم في شأن السبع الأول التي اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم آخذها حبرا : " من أخذَ السبعَ الأُوَلَ من القرآنِ فهو حبرٌ"(Shyaibani; 1991)، وسورة النساء من بين هذه السور. كما أنها من السبعِ الطِّوالِ التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم مكانَ التوراة : كما ورد في حديث واثلةَ بنِ الأسقعِ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : " أُعطيتُ مكانَ التوراةِ السبعَ"(Shyaibani; 1991)،

ومن الآثار الواردة في فضلها: قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " خَمسُ آياتٍ ما يسرُّني أن لي بِهِنَّ الدنيا وما فيها إحداهنّ: "إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا" (النساء: ٣١) "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (النساء: ٤٠) " إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا (النساء: ٤٨) " وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (النساء: ٦٤) " وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا" (النساء: ١١٠). (رواه الحاكم وصححه، والذهبي، والطبراني، والبيهقي، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح).

ظروف نزول سورة النساء

لقد كانت حياة المجتمعات برمتها مهددة بالتدمير الكلي لما شهدته من ظلام الجاهلية الشرسة الدامس، ولما عرفته من غطرسة هذه الجاهلية التي أصّلت كل انحراف عقدي، ولما تميز به كابوس هذه الجاهلية من إشهاره في وجه مكارم الأخلاق، ولما اتسمت به عنجهية هذه الجاهلية من تكريس لأساليب الاستعلاء والتمييز، ولما طوقت به هذه الجاهلية المجتمع من فوضى فرضت هرجاً في كل أوجه الحياة، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن الكريم لتصحيح العقائد، وإنقاذ الأخلاق، ونشر قيم العدل والمساواة، وضبط حياة الناس بنظام متكامل، فبدأ المجتمع الجديد في المدينة المنورة يجسد هذا التحول الجذري بتطبيقه أحكام القرآن واحتكامه إلى حامل الرسالة، فكان لابد من نزول أحكام تفصيلية شاملة تتناول كافة أوجه الحياة الأسرية والاجتماعية، وتحدد روابط المجتمع وتقيم أود التكافل بين مكوناته، وتقدم أقوم نظام بشري قائم على أسس العدل والعدالة فنزلت سورة النساء مناسبة للجو العام لقيمة العدل.

فدعت سورة النساء الجميع إلى الاجتماع على دين الحنيفيّة السّمحة مستهلة بقول الله عز وجل: "يَأَيُّهَا النّاسُ اِتَّقُوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا... "، للتذكير بهدايات السور التي سبقتها، ولتقديم إطار لا لبس فيه لحماية حقوق المستضعفين، وقيادة الناس كافة إلى سبيل مكارم الأخلاق من الصدق والأمانة والوفاء والعدل والتواضع ورعاية الحقوق، وتبصيرهم بحقائق وأحكام وغايات هذا القرآن، وشد عزائمهم لمد يد العون إلى الإنسانية المعذبة لتعبيدها لله وحده وإنقاذها من أتون الضلال ومستنقعات الرذائل بصلاح الأنفس، وأطرها على الحق أطراً لتستقيم على أمر الله تبارك وتعالى مسلكا ومنهجا وحياة وواقعا من غير استخفاء ولا مواربة؛ لهذه الأهداف وفي ذلك الظرف نزلت سورة النساء.

مقصد سورة النساء: بيان قيمة العدل

بدأت السورة بالحثُّ على تقوى الله الخالقِ لهم من نفسٍ واحدةٍ وتحديدُ معالم التقوى، والأمرُ بتوحيدِ الله سبحانه، والإيمانِ بجميع الحق الذي جاءهم، والتوبةِ من الكفر والشرك والنفاق والمعاصي، فالإيمان بالله وتقواه ينتج قيامَهم بقيمة العدلِ والرحمةِ بينهم في جميع المعاملاتِ والعلاقاتِ التي تربط بين الخلقِ أفرادًا وأسرًا من الأرحامِ والأقرباءِ والجيرانِ ومجتمعاتٍ، لا سيما مع الضعفاء: كالنساءِ، واليتامى والمساكينِ، وابنِ السبيلِ، والسفهاءِ الذين لا يحسنون التصرف بمالِهم، وأهلِ الذمة، ومن يعمل عندهم كالعبيدِ والإماءِ، وينتج حفظَ حقوقِهم، خاصة النساء اليتيماتِ، الصغيراتِ، والنساءَ مستضعفاتٍ، وحفظَ حقهنَّ جميعًا في الميراثِ والمهرِ وفي الكسبِ، وفي حقهنَّ في أنفسهنَّ، وحقوقهن الزوجية ما لهن وما عليهن، وتهدم ظلمَ المجتمعاتِ الجاهليةَ في ذلك، مع تحصين المجتمع داخليًا وخارجيًا.

فهذه السورة سورةُ العدلِ والإنسانيةِ تنظم العلاقاتِ الإنسانيةَ التي تربط الناسَ بعضَهم ببعضٍ بالعدل: الأسرةَ المسلمةَ، والمجتمعَ المسلمَ، وما ينبغي أن ينهجَه المجتمعُ الفاضلُ في جعل العلاقاتِ تسير في مجراها العادلِ المجردِ عن الأهواء والشهواتِ الذي رسمه رب العالمين، هادمةً ومزيلةً للظلم الفاشي في المجتمعات البشرية، وواضعةً الأسسَ للاستقرار الداخلي الذي أساسُه العدل الأسري، وصلاحُ التعاملِ بين أفرادِ المجتمعِ لا سيما فيما يتعلق بالمال في ظل تشريعٍ عادلٍ، والاستقرارُ الخارجيُّ الذي أساسه احتفاظ الأمةِ بشخصيتها وقدرتها على مقاومةِ الشر الذي يطرأ عليها، ذلك أن احتفاظ الأمم بكيانها يرتبط بهذين الأمرين العظيمين(Al-Ghazali; 2000).

العدل الاجتماعي ومظاهره وأثره في بناء الإنسان من خلال سورة النساء

١. التصوّر القرآني للعدالة الاجتماعية

الإنسان مدنيّ بطبعه، يجنح إلى تكوين العلاقات، وبناء الروابط مع بني جنسه. فلا يستطيع أنْ يعيش بمعزلٍ عن غيره، لأن العزلة حين تكون طوعية، نوعٌ من الانتحار الذاتي. وحين تكون بالقوة والقسر، عقوبة صارمة تُتخذ ضد نوعٍ معين من المجرمين، أو عملية قتلٍ بطيء حين تُطبّق على إنسانٍ بريء(Lawand;1979).

فالإنسان يميل بطبعه إلى مخالطة الناس والتعامل معهم، وهو بحاجة إلى ذلك بحكم المصالح المشتركة، وحاجة كلّ إنسانٍ لأخيه الإنسان. فلا يمكن له الاستغناء عن الآخرين في تحقيق مصالحه.وهذه الحقيقة التي قررها القرآن الكريم وبيّن أبعادها، تنبّه إليها عددٌ من العلماء وعلى رأسهم ابن خلدون في القرن الثامن الهجري، (Ibn Khaldun;1984) وما تزال الأيام تثبت لنا صدقها، ودقّة وصفها للسلوك الإنساني.

فقد بين لنا القرآن الكريم وخاصة سورة النساء أن الناس مهما تعددت أجناسهم وألوانهم فإن أباهم جميعاً هو آدم عليه السلام. قوله تعالى: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (النساء: ١). فالقرآن يُؤكد وحدة أصل الناس وصلة القُربى بينهم، باعتبارهم أخوة ينحدرون من أصل واحد. فإنّ هذا التوحّد في الأصل والمنشأ، حريٌّ به أن يقود الناس إلى العدل والقسط والتعاون والتفاهم والالتقاء على الخير والمحبة. وهذا كان واضحا جدا في هذه السورة.

ويتبين مما سبق من منهج القرآن الكريم: أنَّ الأخلاق الإنسانية لا يمكن أنْ تَكْتمل، إلا من خلال حياةٍ اجتماعية صالحة، قائمة على أساس العدل الاجتماعي، والعلاقات الإنسانية النظيفة المَبنيَّة على التعاون والتناصر والمشاركة والمحبَّة ونُكران الذات، ومعتمدة على عبادة الخالق عزَّ وجل، والخضوع لما تقتضيه ربوبيته. وبالنظر في التصوّر القرآني لتنمية العدالة الإنسانية والاجتماعية، نجد أنَّ الرؤية القرآنية من خلال هذه السورة بُنيت على ثلاثة أمور (Al-A'raji; 1987):

الأول: المسألة الأخلاقية، ذلك أنَّ الإلزام والمسؤولية والجهد المبذول لتحقيق العدالة الإنسانية وأثرها في بناء المجتمع المسلم، إنما هو قيمة أخلاقية عُليا، على الإنسان المؤمن أنْ يلتزم بها، باعتباره إنساناً واعياً جديراً بتحمّل هذه المسؤولية وهذا الشرف الرفيع. وهذه النقطة ينطبق على جل آيات هذه السورة تقريبا.

الثاني: أنَّ هذه السورة أكَّدت في حثِّه على صِلة الرحم، وإطعام الفقير والمسكين، وتكريم اليتيم، وأدب التعامل مع الآخرين، وغيرها من الأمور التي تُنمّي الصِّلات الإنسانية، وتحقق العدالة الاجتماعية على أنَّ هذه الأعمال إنما هي أمورٌ تَعبديَّة يتقرّب بها الإنسان إلى الله تعالى، ويُثاب عليها. قوله تعالى: "وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا" (النساء: ٢)، وقال أيضا: "وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا" (النساء: ٦)

الثالث: أنَّ هذه السورة أرادت للإنسان المؤمن أنْ يَصِل إلى مراحل متقدّمة من الكمال، فأراد بتثبيت العدالة الإنسانية والاجتماعية أنْ يُبرز مفهوم التكافل الاجتماعي، ومبدأ الحرص على شفافية العلاقة بين المسلمين خاصّة وبين الناس عامة. قوله تعالى "وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا، وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا" (النساء: ٨-٩)

٢. العدل مع السفهاء

اشتملت آيات هذه السورة على بيان قيمة العدل في جميع القضايا الاجتماعية ومع جميع فئات المجتمع المختلفة، حتى السفهاء من الناس، قوله تعالى "وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا" (النساء: ٥)، والسفهاء هم الذين لا يحسنون إدارة أموالهم بحيث لو أنه ترك معهم لتبددت بسرعة. فحتى هذه الفئة من الناس لا يجوز أن تظلم أو أن تستغلّ، كما يفعل البعض بحجة سفاهة صاحب المال. ثم تأتي الآية السادسة أيضاً لتقرر حق اليتامى في مالهم إذا بلغوا سن الرشد، قوله تعالى "وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا" (النساء: ٦)، والآية الثامنة تجمع بين العدل والإحسان، قوله تعالى "وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا" (النساء: ٨).

٣. العدل مع الأنفس

في معرض الحكم على النفس وفي معرض بناء قيمة العدل مع النفس ينصب القرآن الإنسان حكما على نفسه في هذا النص في معرض العدالة التي ينبغي تحقيقها بمقتضى القرآن الكريم، وهذا ما يتعسر على الإنسان القيام به: قوله تعالى "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا" (النساء: ١٣٥) .

وكأن هذه الشهادة القضائية أمام محاكم الضمير الفردي حيث يرافع فيها الإنسان نفسه، مبالغة في تحقيق العدالة التي يجب أن تتحقق فتشهد ضد نفسك ووالديك؛ تلك هي العدالة التي تعجز قوانين الأرض عن تحقيقها مهما بلغت مرونتها ونزاهتها الاقتضائية بين الخصوم لبشريتها الناقصة عن مقام الكمال، وقول الحقيقة والبحث عنها وتحرّيها ليس فقط سمة للمصداقية والثقة بل أكثر من ذلك في نظر هذه الآية، ليكون وصية سماوية، يجب القيام بها واتباعها.

وهناك عدالة أخرى مع النفس أيضا وهي العدالة في تبليغ ما يسند من مهام إلى صاحبها، قوله تعالى "إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا" (النساء: ٥٨).

بنظرنا إلى دلالة هذه الآية يتسع نطاق دلالتها لتشمل كل المهن المسندة إلى الإنسان، فينبغي تأديتها بما يناسب نظام التعاقد عليها، وفي هذا الجانب من البعد الحضاري كثير حيث يقوم الإنسان بتأدية مهامه اليومية بناء على توجيهات سماوية إلهية توقظ ضمير الإنجاز بعيدا عن الرقابة المديرية أو الرئيسية أو السلطوية التي يمكن التحايل عليها، والتعلل فيها بوسائل معينة في أغلب الحالات التي تقع فيها مخالفات للأمانة وتساق لها التبريرات المعهودة.

ومن العدالة مع الأنفس احترام الملكية الفردية والجماعية فقد قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" (النساء: ٢٩) .وأوّل ما أمرت به هذه الآيات في بيان العدل في الأنفس والأموال منع أكل أموال الناس من غير أساس من التعامل المشروع أو الإنتاج مما أخرجت، ومن التحويل في الصناعات المختلفة، وإن هذا النص يدل على أمور، **أولها:** النهي عن أكل مال الناس بالباطل، أي: بغير حق موجب. **وثانيها:** أنَّ أكل الناس بالباطل وشيوعه مثل شيوع الرشا والربا، وغيرهم من المعاملات الفاسدة التي تتضمَّن في ذاتها أكل الأموال بالباطل يؤدي إلى ضياع قوة العدل وضعف الأمة، وتقل روح التعاون في الجماعات، ولذا كان قوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} وخلاصة الآية أنَّ الأصل للعلاقة بين الناس في المعاملات المالية هو مراعاة العدالة ومنع الظلم والخيانة لأن هذه الأشياء تؤدي إلى الانتحار الفردي والجماعي. **وثالثها :** ضوابط استقامة العدل داخل الأسرة، مع أن الأمر بالعدل يأتي التشديد على

وجود ضوابط حتى تستقيم الأمور ولا تتجاوز الحدود المسموح بها. كما قال تعالى "ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا، (النساء: ٣٤).

فالتسلسل واضح فيها فالأول يبدأ بالوعظ ثم الهجر في المضاجع وأخيراً الضرب والضرب جاء في حالة النشوز وجاء متأخراً في الترتيب فجاء بعد الوعظ والهجر فإذا لم ينفع أياً من هذه الأمور يتركها عسى الله أن يبدله خيرا منها.

فما أعدل الإسلام وحتى الضرب الوارد في الآية لاينافي العدالة وهناك من ينظر إلى الإسلام بنظرة الوحشية والهمجية لأجل إباحة ضرب المرأة في الآية السابقة جاهلا أو متجاهلا ما تسببه الطلاق من ضياع الحقوق بالنسبة للأولاد الذين يتشردون بعد الطلاق، فاتباع وسائل الحفاظ على الزواج ولو بالضرب يعدّ عدلا.

الإيمان والطاعة وأثرهما في إقامة العدل

١. منع الشرك و اتباع الأهواء

تعود آيات السورة للحديث عن العدل فتحذّر من الشرك بالله، قوله تعالى "وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا" (النساء: ٣٦).

ولماذا ختمت الآية بالنهي عن الخيلاء والكبرياء لأن الربط بين القضايا الاجتماعية والإيمانية لبيان العلاقة بين الأخلاق والإيمان. لأن أعظم الظلم الشرك كما ورد في سورة لقمان) إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم ولذا اتفق العلماء على أن الشرك هو أكبر ظلم في المجتمع، فما دام هو أكبر ظلم فهو مناقض للعدل بحيث لا يجتمع العدل مع الظلم أبدا.

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا" (النساء: ١٣٥)، وفي هذه الآية نرى الله سبحانه وتعالى مازج بين الغنى والفقر لبيان قيمة العدل والتساوي فيهما العبرة بالعدل لا بالغنى.

وقوامين هي لفظة مبالغة تعني: شديدي القيام بالعدل. والآية تحذّرنا من اتباع الهوى لأنه عامل خطير في التسبب بظلم الناس

٢. طاعة الله والرسول صلى الله عليه وسلم أساس العدل

وهذا المعنى واضح في الآية، "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" (النساء: ٥٩). فالاحتكام إلى شرع الله وردّ كل خلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله هما صمّام العدل وحقيقته في المجتمع وإن بدا فيهما غير ذلك،

كما هو واضح في الآية (٦٤)، فإذا عصى المؤمن أوامر الله ورسوله فيكون قد ظلم نفسه وظلم المجتمع، قوله تعالى "وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا" (النساء: ٦٤). فكيف نحقق تمام العدل؟ تجيب الآية (٦٥) بوضوح شديد، "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا" (النساء: ٦٥).

وهذه الآيات تأمر المؤمنين أن يعرضوا أنفسهم على كتاب الله وعلى سنة النبي ويسلّموا بحكم النبي، وإياهم أن يترددوا أو يتحرجوا من أوامر النبي لكي يشهد النبي على عدلهم في الآخرة.

والاحتكام إلى شرع الله عدل فالعدل فضيلة تضمن لصاحب الحق حقه بعيدًا عن الظلم والعدوان، وينظر الإسلام إلى العدل نظرة شاملة تعم التشريع كله وبذلك تتضمن كافة العلاقات، والمعاملات الإنسانية سواء أكانت بين المسلمين بعضهم مع بعض، أو كانت بين المسلمين وغيرهم يقول الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا" (النساء: ٥٨).

٣. العدالة الاقتصادية ومظاهرها

يتمظهر أيضا في (سورة النساء: ٧-١٢) مقصد العدل في التعامل مع مستوى مرادفات موضوع العدل حسب السياق الملائم لمجال توزيع الأرزاق والثروة على قاعدة أن المال لله وأن الإنسان مستخلف في الإنفاق في وجوه البر المشروعة. وإذا كانت أرزاق الله لا حد لها فإن تقسيم التركة على الورثة من الذكور والإناث من الأبناء والبنات وأقرب المقربين للميت يعتبر أحد أبوابه وفق ميزان إلاهي دقيق يخفض النصيب من الرزق ويرفعه ويقلله ويكثره مراعاة للأصول والفروع ومن تجب عليهم النفقة ومن لاتجب عليهم من أصناف الإناث حسب المراتب وأنواع الرجال وفق الدرجات درءا لكل ظلم وسعيا لإرضاء النفوس المفطورة على حب المال وامتلاكه.

ولعل أهم ما في نظام الإرث في السورة العظيمة النظام الكسري الدقيق الذي يستحضر كل احتمالات التقسيم تعالج تسعين في المائة من قضايا الإرث ويحصرها في أربعة عشر احتمالا فيها إنصاف كامل للمر أة التي كانت محرومة من الإرث عند حضور الذكر سواء في التوراة الذي لحقه التزوير وكذا في نظام الجاهلية وفي الكثير من الأنظمة الوضعية البشرية في عصرنا الحاضر وعلى رأسها النظام الفرنسي في بلداننا الافريقية . كما ينصف نظام الإرث في القرآن الأب والأم وزوجة صاحب التركة وأقرب المقربين للمتوفى وفي هذه الأطراف المرأة حاضرة بكل ثقلها أيضا. كما يقدم قسمة النصف أو السدس أو الثمن أو الثلث أو الربع في ثلاث آيات هي الآيات :١١ وتختص بقسمة الأصول والفروع: الأب والأم والأبناء من الذكور والإناث، والآية ١٢: التي تتعرض لنصيب الأزواج والإخوة والأخوات من جهة الأم والآية ١٧٦ : التي تختص بقسمة الكلالة من الأب أو من الأب والأم حصة الأخت والإخوة في حالة عدم وجود الأبناء بأسلوب حسابي معجز يتميز بالإيجاز والتكثيف والوضوح والدقة والشمول.

إن سورة النساء خطاب حقوقي شامل ومنصف لجنس المرأة يقارب المسألة النسائية من منظور اجتماعي نسقي وازن يرد للمرأة وضعيتها الاعتبارية ويمنحها هامشا من المبادرة بقسمتها في الإرث ويحدد بدقة رسالاتها الأسرية والمجتمعية كشريك فاعل وأساسي للرجل من منظور الشقائقية لا الندية مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "النساء شقائق الرجال" وقوله صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيره لنسائه وأنا خيركم لنسائي" (Ibn Hajar 'Ashqalani; 1992) مما يجعل المرأة المسلمة ترضى بعدل الله وتعمل على طاعته والوفاء بواجباتها تجاه خالقها سبحانه لتتحرر من كل العبوديات المادية والثقافية والاجتماعية والنفسية والقانونية الوضعية فتكون بمنأى عن كل التفاف رجولي مغرض على حقوقها يسوق صورتها الطاهرة تسويقا إشهاريا تجاريا أو سياحيا جسديا .

هذا التفسيم هو العدل والعدالة لأن تقسيم الإرث ليس على أساس الأفضلية، وليس بنسبة متساوية بين الذكر والأنثى بل على أساس الواجبات والمسؤوليات لكل واحد منهما. فالرجل عنده مسؤولية النفقة على بيته وزوجته. بينما المرأة ليس عليها أي واجب للنفقة وإذا تزوجت فعلى زوجها أن ينفق عليها وتبقى لها حصتها من الإرث خالصة لها.

٤. العدالة الدولية ومظاهرها

تؤكد هذه المضامين الأخلاقية عدالة الإسلام في التصور ونظرته إلى بناء العلاقة مع الآخر المخالف بحيث يجب بمنطق العدالة أن يعامل كل الناس بعدالة مهما اختلفوا في الدين والمعتقدات، وهذا ما يجعل مشروع الإسلام حضاريا في بنيته وتقبله للوفاء والعدالة بين بني البشر على حد سواء.

إن العدالة من منظور الإسلام مشروع حضاري ذو أبعاد أخلاقية وإنسانية، ولا يتحقق أو يقوم المشروع الحضاري لأي أمة إلا من منطلق العدالة التي خلقت الإنسانية لتحقيقها بين جميع أفراد مكوناتها البشرية، وهذا ما يصوّره القرآن الكريم في أسلوب أمميّ حضاري. قال الله تعالى: "إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا، وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا، وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا، يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا، وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا، وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا، وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا، وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا" (سورة النساء: ١٠٥-١١٣).

والعدالة كما تكون بين الآحاد تكون بين الجماعات والدول، فقد قامت العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس العدالة، فلا يظلمون شيئًا، ولا يمنعون من خير، والناس جميعًا نسبتهم إلى الله واحدة، لقد كانت الدول حتى

التي بلغت شوطًا من الحضارة في عهد نزول القرآن كالفرس والرومان واليونان لا تعترف بأي حق لغير المستوطنين معهم، فغيرهم يعدون برابرة، وليسوا منهم في شيء(Abu (Zahrah, d. t).

الذين يعيشون في حكم الرومان لا يعتبرون رومانيين، ولا يمنحنون هذه الرعوية وتلك الجنسية، باعتبار أنَّ الجنسية الرومانية شرف لا يحوزه إلَّا الرومان، وكذلك كان الفرس وغير ذلك

وقد يعبر عن العدالة الدولية ما يمكن أن يصطلح عليه: العدل مع الأقليات غير المسلمة في المجتمع المسلم. وذلك أن أحد المسلمين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم سرق واتّهم يهودياً. علِم مسلم آخر بالأمر وشهد زوراً حتى لا يتعرّض المسلم للحد وذلك تحت حجة الأخوة. وبما أن العدل من مبادئ الإسلام العظمى ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول العاملين بها، كان الله تعالى يصوبه إذا أخطأ في حكم أخذ فيه بظاهر دعوة الناس(ghulusyi; 1424)، وهذه الآيات مثال واضح في هذا الأمر. وخلاصة ما تفيده هذه الآية : قيام العدالة وأنها من أهم ركائز التحضر والحضارة لأي مجتمع أو أمة تريد أن يكون لها مشروع ينافس في ميادين الحياة والعطاء، فالعدالة نماء وعطاء زاهر.

وقد قال الواحدي في سبب نزولها ثلاثة أقوال(As-Suyuthi; 1408): أحدها، وكان الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتشر من خرق في الجراب، حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند رجل من اليهود، فالتمست الدرعَ عند طعمة، فلم توجد عنده، وحلف: ما لي بها علم، فقال أصحابها: بلى والله، لقد دخل علينا فأخذها، وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق، فلما حلف تركوه، واتّبعوا أثر الدّقيق حتى انتهوا إلى منزلي اليهودي فأخذوه، فقال: دفعَها إليَّ طعمة، فقال قوم طعمة: انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليجادل عن صاحبنا فإنه بريء، فأتوه فكلموه في ذلك، فهم أن يفعل، وأن يعاقب اليهودي، فنزلت هذه الآيات كلها. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أن رجلاً من اليهود، استودع طُعمة بن أبيرق درعاً، فخانها، فلما خاف اطلاعهم عليها، ألقاها في دار أبي مُليل الأنصاري، فجادل قوم طعمة عنه، وأتوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فسألوه أن يبرئه، ويكذّب اليهودي، فنزلت الآيات. هذا قول السدي، ومقاتل.

والثالث: أن مشربة «١» رفاعة بن زيدُ نقبت، وأخذ طعامه وسلاحه، فاتهم به بنو أبيرق، وكانوا ثلاثة: بشير، ومبشّر، وبشر، فذهب قتادة بن النعمان إلى النبيّ عليه السلام فقال: يا رسول الله إن أهل بيت منّا فيهم جفاء «٢» نقبوا مشربة لعمّي رفاعة بن زيد، وأخذوا سلاحه، وطعامه(Al-Tirmiḏzī; Al-(Ḥākim; Al-Ṭabarī,d.t) . فنزلت الآيات تخاطب المسلمين خطاباً شديداً) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَاكَ ٱللهُ وَلاَ تَكُنْ لِّلْخَائِنِينَ خَصِيما (105) (ثم تشتدّ اللهجة على الظالم) وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰناً وَإِثْماً مُّبِيناً (112) (فشهد الله تعالى من فوق سبع سماوات ببراءة اليهودي مما نسب إليه ليرسخ في الإسلام هذه القواعد الحضارية في التعامل مع الديانات الأخرى.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»: وقوله لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان صلى الله عليه وسلم له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية وبما ثبت في الصحيحين عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال «ألا إنما أنا بشر وإنما أقضي بنحو مما أسمع ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها» . وروى الإمام أحمد عن أم سلمة قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواريث بينهما قد درست ليس عندهما بينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم تختصمون إليّ وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بينكم على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها انتظاما في عنقه يوم القيامة» فبكى الرجلان وقال كل منهما حقي لأخي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إذا قلتما فاذهبا فاقتسما. ثم توخيا الحق بينكما ثم استهما، ثم ليحلل كل منكما صاحبه» (Ibn-Katsir,1400)

مخالفات اجتماعية سلبية مؤثرة في إقامة العدل والعدالة

١. النهي عن فضول الكلام والخوض في الباطل

حثَّ القرآن الكريم على الابتعاد عن فضول الكلام وعدم الخوض في الباطل، والالتزام بهذا التوجيه القرآني مِنْ شأنه أنْ يَصُبَّ في بناء مجتمعٍ متماسكٍ يبتعد فيه الناس عن الثرثرة والإكثار من الكلام الذي لا حاجة إليه. " لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" (النساء: ١١٤). فهذه الآية القرآنية تُوجِّه المؤمنين إلى أنْ يكون كلامُهم هادفاً، فإنَّ من شأن المسلم الواعي ألا يخوض فيما لا يعنيه، وألا يُكثر من الكلام المباح غير الهادف والذي لا خير فيه، فإنَّ الوقت أثمن من إضاعته في فضول الكلام وهَذَرِه.

وكثرة الكلام تؤدي إلى قسوة القلب، فقد وَرَدَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنَّ كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوةٌ للقلب، وإنَّ أبعد الناس من الله القلب القاسي». (At-Tirmidzi,d t) ولا شكَّ أنَّ قسوة القلب مع الله تؤدي إلى قسوته مع الناس، مما يُلقي بظلاله السيئة على الاتصال بالآخرين، وعلى العلاقات الإنسانية بشكل عام.

٢. النهي عن السب والفحش في القول

للسب واللعن والفحش في القول أضرار كثيرة، ففيها إيذاءٌ للمسبوب، وإيغارٌ للصدور، وقَطْعٌ للعلاقات والمودَّات، وزرعٌ لبذور الفتنة والشقاق، وذلك لما تجلبه من العداوة والبغضاء، وتجرُّه من المنازعات والمشاحنات التي

قد تنتهي بأوخم العواقب وأسوأ النتائج، فتتفكك عُرى المحبة، وتنقطع روابط الأُلْفة، ويحل الفساد محل الصلاح، والخصام محل الوئام، فتسوء الأحوال وتضطرب الأعمال.

ونتيجة لهذه الآثار السيئة التي يتركها السباب وفحش القول على العدالة الإنسانية، جاء التوجيه القرآني ليحث على تجنب النطق بالألفاظ البذيئة، والكلمات المبتذلة. " لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا" (النساء: ١٤٨). قال ابن كثير قَالَ [عَلِيٌّ] بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ} يَقُولُ: لَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا، فَإِنَّهُ قَدْ أُرْخِصَ لَهُ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: {إِلا مَنْ ظُلِمَ} وَإِنْ صَبَرَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ(Ibn Katsir; 1400).

٣. خطر النفاق على العدل

وهذه السورة من السور التي ذكرت موضوع النفاق بشكل واضح وصريح وما ذلك إلا لخطورته على العدل فالنفاق مرض خطير وخلق سيئ وجرم كبير وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر.. والنفاق أخطر من الكفر وعقوبته أشد لأنه كفر بلباس الإسلام وضرره أعظم ولذلك جعل الله المنافقين في أسفل النار كما قال جاء في هذه السورة، إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا" (النساء: ١٤٥). فالمنافقون دائماً في حيرة وتقلب وفي خداع ومكر ظاهرهم مع المؤمنين شيء وباطنهم مع الكافرين شيء آخر، حيناً مع المؤمنين وحيناً مع الكافرين، " مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا" (النساء: ١٤٣). والمنافقون لفساد قلوبهم أشد الناس إعراضاً عن دين الله كما أخبر الله عنهم بقوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا" (النساء: ٦١).

وربما لهذا قال بعض العلماء بأن سبب ذكر المنافقين هو التنبيه إلى أن انتشارهم في المجتمع هو أعظم سبب لتضييع العدل وتضييع حقوق الضعفاء, فهم يفسدون المجتمع ويضيّعون قيمه وخاصة قيمة العدل وقال ابن القيم مبينا خطر النفاق: وأما النفاق: فالداء العضال الباطن الذي يكون الرجل ممتلئا منه وهو لا يشعر فإنه أمر خفي على الناس وكثيرا ما يخفى على من تلبس به فيزعم أنه مصلح وهو مفسد (Ibn Qayyim Al-Jawziyyah; 1416).

والمنافقون يتربصون بالمسلمين الدوائر، فإن كان للمؤمنين نصر وغنائم قالوا ألم نكن معكم، وإن كان للكفار نصيب قالوا ألم نكن معكم ضد المؤمنين. ألا ما أسفه المنافقين؟ حقاً (Al-Tuwijri,d.t)إن المنافقين هم الكافرون: " ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا" (النساء: ١٤١).والنفاق من الأمراض الاجتماعية التي تفسد العدل والإيمان وتعكر صفوة المجتمع وهو خطير جدا على العدل.

الخلاصة

خلال دراستنا للمباحث السابقة خرجنا ببعض النتائج الهامة وهذه النتائج مجتمعة تبرز بصفة عامة قمية العدل وأثرها في بناء الإنسان، ولا أريد هنا عرض جميع تلك النتائج عرضا مفصلا بل أرى الاقتصار على خلاصة ما هو ضروري كالتالي:

عرفنا أن العدل: في القرآن الكريم يفسَّر على خمسة أوجه هي: الفداء، الإنصاف، القيمة، شهادة أن لا إله إلا الله، الشرك وأن لفظ العدل ورد وما اشتق منه في القرآن الكريم، تسع عشرة مرة، مستعملا بمعاني الحكم بالحق، وضد الجور، والإنصاف، والقسط، والسوية وما إليها، مما سبق ذكره.

ولأهمية معرفة معاني العدل في القرآن، قد شغلت أقلام الباحثين في دراسة معانيه وظهرت غير قليل من الدراسات السابقة. ومنها تركز على المفهوم اللغوي للعدل وأسلوبه في القرآن الكريم، ومنها عن قيمة العدل وعلاقته بالحياة الانسانية، ومنها ما تتحدث عن علاقة العدل بالقضايا المعاصرة بناء على مبادئ الإسلام والقرآن الكريم.

كما رأينا نبذة عن سورة النساء: **عدد آياتها:** مائة وخمس وسبعون في عدّ الكوفيين، ومائة وستّ وسبعون في عدِّ البصريين، ومائة وسبع وسبعون في عدّ الشَّاميين كما أن رسالتها العامة بيان قيمة العدل.

كما تناولنا في هذا البحث: جميع مظاهر العدل والعدالة ومع جميع الفئات المجتمعية : العدل الاجتماعي والاقتصادي والدولي والعدل الفردي والجماعي بل إن العدالة من منظور هذه السورة ومن خلال هداياتها هي: مشروع حضاري ذو أبعاد أخلاقية وإنسانية، ولا يتحقق أو يقوم المشروع الحضاري لأي أمة إلا من منطلق العدالة التي خلقت الإنسانية لتحقيقها بين جميع أفراد مكوناتها البشرية، وهذا ما يصوّره القرآن الكريم في أسلوب أمميّ حضاري لأننا رأينا أن هذه السورة لم تفرق بين الناس في مسألة العدل بسبب الجنس أو الديانة أو العرق، فحقوق الإنسان مكفولة في الإسلام باعتبار أن كل البشر عند الله بمكانة واحدة من حيث العدل بينهم، ولا تمييز بين الناس إلا في مسألة الطاعة لله سبحانه وتعالى والتقوى. كما أن من هدايات هذه السورة : التحذير من الأخلاق المدمرة للعدل والعدالة أو سميها مخالفات اجتماعية سلبية ومؤثر على العدالة وإقامة العدل ومنها: البخل والرياء والنفاق وفضول الكلام وعدم الخوض في الباطل، والالتزام بهذا التوجيه القرآني مِنْ شأنه أنْ يَصُبَّ في بناء مجتمعٍ متماسكٍ يبتعد فيه الناس عن الثرثرة والإكثار من الكلام الذي لا حاجة إليه.

كما أن استخلاص أثر العدل في بناء الفرد والمجتمع والرقي بهما هدايات واضحة من خلال قضايا سورة النساء.

كما يلاحظ من خلال هذه المقالة محاولة الإشارة إلى محل الشاهد من الآيات وعدم شرحها شرحا تحليلا خوفا من الإطالة وحرصا على الاتباع المنهج الموضوعي لكتابة هذه المقالة.

المصادر والمراجع

‘Abd al-Bāqī, Muḥammad Fu’ād. (t.t.). *Fatḥ al-Bārī bi-Syarḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī Ibn Ḥajar al-‘Asqalānī* (Cet. ke-2). Dār al-Rayyān li al-Turāth.

‘Abd al-Karīm Khalīfah, dkk. (2007). *Mu‘jam an-Nafāʾis al-Kabīr* (Cet. ke-1). Bayrūt: Dār an-Nafāʾis; ‘Umān: Wizārat at-Turāts al-Qawmī wa ats-Taqāfah (1999).

‘Abd Allāh al-Baqālī. (2011). Mafhūm al-‘Adl wa al-Musāwāh fī al-Qur’ān al-Karīm: Dirāsah Lughawiyyah Bayāniyyah. *Majallat al-Turāth*, 1(3), 59–78.

‘Abd al-Ra’ūf ibn al-Munāwī. (2002). *Al-Tawqīf ‘alā Muhimmāt al-Ta‘ārīf* (Dr. Muḥammad Riḍwān al-Dāyah, Ed.). Bayrūt: Dār al-Fikr al-Mu‘āṣir.

‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad al-Qamāsh. (t.t.). *Jāmi‘ Laṭā’if al-Tafsīr*.

‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad Ibn Khaldūn. (1984). *al-Muqaddimah* (T.5). Bayrūt. Dār al-Qalam.

‘Azīzah Ḥamīdātū, & Fātiḥ Ḥalīmī. (2021). Mashrū‘iyyat Qīmat al-‘Adl bayna al-‘Ahd al-Jadīd wa al-Qur’ān al-Karīm. *Majallat al-Mi‘yār*, 222–224.

Abī Bakr al-Bayhaqī. (2003). *al-Jāmi‘ li-Syu‘ab al-Īmān*. Al-Riyāḍ. Taḥqīq: Mukhtār Aḥmad al-Nadwī. Maktabat al-Rusyd.

Abū ‘Abd Allāh Aḥmad ibn Ḥanbal al-Shaybānī. (1991). *al-Musnad*. Dār Iḥyā’ al-Turāts al-‘Arabī.

Abū ‘Abd Allāh al-Dhahabī. *al-Talkhīṣ*. Bayrūt. Al-nāsyir: Dār al-Kitāb al-‘Arabī. d.t.

Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn ‘Abd Allāh al-Ḥākim al-Naysābūrī. (1411 H). *al-Mustadrak* (Ṭ.1). Bayrūt. Taḥqīq: Muṣṭafā ‘Abd al-Qādir ‘Aṭā. Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Abū al-Baqā’ al-Kafawī. (1419 H / 1998 M). *al-Kulliyyāt*. Bayrūt. Taḥqīq: D. ‘Adnān Darwīsh wa Muḥammad al-Miṣrī. Mu’assasat al-Risālah.

Abū al-Ḥasan al-Māwardī. (1398 H / 1978 M). *Adab al-Dunyā wa al-Dīn*. Al-Ṭab‘ah al-rābi‘ah. Bayrūt. Taḥqīq: Muṣṭafā al-Saqqā. Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Abū al-Qāsim Sulaymān ibn Aḥmad ibn Ayyūb al-Ṭabarānī. (1404 H). *al-Mu‘jam al-Kabīr* (T.2). Al-Mawṣil. Taḥqīq: Ḥamdī ibn ‘Abd al-Majīd al-Salafī. Maktabat al-‘Ulūm wa al-Ḥikam.

Abū Ibrāhīm Isḥāq ibn Ibrāhīm al-Fārābī. *Dīwān al-Adab*. Mujamma‘ al-Lughah al-‘Arabiyyah bi al-Qāhirah. Taḥqīq: Duktur Aḥmad Mukhtār ‘Umar.

Aḥmad Aḥmad Ghulūsy. (1424 H/2004 M). *al-Sīrah al-Nabawiyyah wa al-Daʿwah fī al-ʿAhd al-Madanī* (T.1). Muʾassasat al-Risālah li al-Ṭibāʿah wa al-Nashr wa al-Tawzīʿ.

Aḥmad ibn Fāris. (1366 H). *Maqāyīs al-Lughah*. Al-Qāhirah. Taḥqīq: ‘Abd al-Salām Hārūn.

Al-‘Āyib Yūsuf. (2021). *al-Qiyam al-Akhlāqiyyah al-Qur’āniyyah fī al-Naqd wa al-Ta‘āmul ma‘a al-Ākhar – Qīmat al-‘Adl Unmūdhajan*. Al-Mujallad al-‘Āsyir, al-‘Adad al-Awwal, *Majallat al-Dirāsāt al-‘Aqdiyyah wa Muqāranat al-Adyān*, ṣ. 62–90.

Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā‘īl. (1407 H). *Al-Jāmi‘ al-Ṣaḥīḥ*. Al-Qāhirah.

Al-Fīrūzābādī. (1384 H). *Baṣā’ir Dhawī al-Tamyīz*. Al-Qāhirah: Maṭābi‘ Syarikat al-I‘lāmāt al-Syarqiyyah.

Al-Ghazālī, Muḥammad. (2000). *Nahwa Tafsīr Mawḍū‘ī li-Suwar al-Qur’ān al-Karīm* (Cet. ke-4). Al-Qāhirah: Dār al-Syurūq.

Al-Ḥusayn ibn Muḥammad al-Dāmaghānī. (2008). *al-Wujūh wa al-Naẓāʾir li-Alfāẓ Kitāb Allāh al-ʿAzīz*. Al-Qāhirah. Muḥammad al-Zafītī. Wizārat al-Awqāf.

Al-Karamī al-Maqdisī al-Ḥanbalī, Mar‘ī bin Yūsuf bin Abī Bakr bin Aḥmad. (t.t.). *Qalāʾid al-Marjān fī Bayān an-Nāsikh wa al-Mansūkh fī al-Qur’ān* (Sāmī ‘Aṭā Ḥasan, Ed.). Al-Kuwayt: Dār al-Qur’ān al-Karīm.

Al-Syarīf al-Jurjānī. (1991). *Kitāb al-Ta‘rīfāt*. Al-Qāhirah. Dr. ‘Abd al-Mun‘im al-Ḥanafiī. Dār al-Rasyād.

Al-Tirmiżī, Muḥammad bin ‘Īsā. (t.t.). *Al-Jāmi‘ aṣ-Ṣaḥīḥ (Sunan al-Tirmiżī)* (Aḥmad Syākir, Ed.). Makkah al-Mukarramah: al-Maktabah al-Faiṣaliyyah.

Al-Tuwijrī, Muḥammad ibn Ibrāhīm ibn ‘Abd Allāh. (t.t.). *Mawsū‘at Fiqh al-Qulūb*. Bayt al-Afkār al-Duwaliyyah.

Ashraf Ṭahā Abū al-Dahab. *al-Muʿjam al-Islāmī*. Al-Qāhirah. Dār al-Syurūq.
Az-Zankī, Najm ad-Dīn Qādir Karīm. (2009). Qīmat al-‘Adl wa Ṣilatuha bi Fahm ad-Dīn: Qirāʾah Manhajiyyah fī Turāts Badī‘ az-Zamān an-Nūrsī. *Journal of Islam in Asia*, 6(2), 29–51.
Barlas, A. (2002). *"Believing Women" in Islam: Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an*. Austin: University of Texas Press.
D. Muḥammad Nabīl Ṭarīfī. (2012). *al-Mukhassas bi-i‘nāyah*. Bayrūt. Dār Ṣādir.
Dr. Lakhaḍar ibn Qawmār. (2017). "Mafhūm al-ʿAdl fī al-Islām wa Namādhij min Rawāʾiʿih". *Majallat al-Dzakhīrah li al-Buḥūth wa al-Dirāsāt al-Islāmiyyah*, al-mujallad al-awwal, al-ʿadad al-tajrībī.
Ibn ‘Āsyūr, Muḥammad Ṭāhir. (1984). *At-Taḥrīr wa at-Tanwīr*. Tūnis: ad-Dār at-Tūnisiyyah li an-Nasyr.
Ibn ‘Aṭiyyah. (1423 H / 2002 M). *al-Muḥarrar al-Wajīz*. Bayrūt. Ṭ. Dār Ibn Ḥazm.
Ibn Jarīr al-Ṭabarī. (1420 H). *Jāmi‘ al-Bayān fī Tafsīr Āy al-Qur'ān* (Ṭ.1). Taḥqīq: Aḥmad Muḥammad Shākir. Mu'assasat al-Risālah.
Ibn Kathīr. (1400 H). *Tafsīr al-Qur'ān al-‘Aẓīm*. Bayrūt. Dār al-Ma‘rifah.
Ibn Manẓūr. (1979). *Lisān al-‘Arab*. Al-Qāhirah. Dār al-Ma‘ārif bi-Miṣr. Taḥqīq: ‘Abd al-Salām Hārūn. (1991). Dār al-Jīl.
Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb ibn Sa‘d Syams al-Dīn. (1996/1416 H). *Madārij al-Sālikīn bayna Manāzil Iyyāka Na‘budu wa Iyyāka Nasta‘īn* (Cet. ke-3, Muḥammad al-Mu‘taṣim Billāh al-Baghdādī, Ed.). Bayrūt: Dār al-Kitāb al-‘Arabī.
Ibn Sīddah al-Azharī. (2001). *Tahdhīb al-Lughah*. Bayrūt. Taḥqīq: Duktur Riyāḍ Zakī Qāsim. Dār al-Ma‘rifah.
Ibn Taymiyyah, Abū al-‘Abbās Aḥmad ibn ‘Abd al-Ḥalīm ibn ‘Abd al-Salām al-Ḥarrānī. (‘Ām al-Nashr: 1416 H / 1995 M). *Majmū‘ al-Fatāwā*. Al-Madīnah al-Nabawiyyah. Jama‘: ‘Abd al-Raḥmān ibn Qāsim. Al-Nāshir: Mujamma‘ al-Malik Fahd li-Ṭibā‘at al-Muṣḥaf al-Sharīf.
Jabal, Muḥammad Ḥasan. (2010). *Al-Mu'jam al-Isytiqāqī al-Muʾaṣṣal li-Alfāẓ al-Qur'ān al-Karīm*. Al-Qāhirah: Maktabah al-Ādāb.
Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī. (1408 H). *al-Itqān fī ʿUlūm al-Qurʾān*. Ṣaydā. Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. Al-Maktabah al-ʿAṣriyyah.
Mażkūr, Munīr Sa‘īd Muḥammad, & al-Falāḥī, ‘Abd Allāh Muḥammad. (2023). Uslūb al-Qur'ān al-Karīm fī ‘Arḍ Āyāt al-‘Adl wa Ātsarihi ‘alā al-Fard wa al-Mujtama‘. *Majallat al-Bāḥits al-Jāmi‘ī li al-‘Ulūm al-Insāniyyah*, (50), 43–64.
Muḥammad ibn Aḥmad ibn Muṣṭafā ibn Aḥmad. (t.t.). *Al-Mu'jizah al-Kubrā al-Qur'ān*. Dār al-Fikr al-‘Arabī.
Rābiṭah ʿUlamāʾ Lībiyā. (1437 H/2016 M). *al-Musāwāh wa ʿAdduhā min al-Maqāṣid al-Kulliyyah li al-Syarīʿah*. *Majallat al-Sirāj al-Munīr*, al-ʿadad al-thānī.
Ramaḍān Lāwand. (1979). *Min Qaḍāyā al-Iʿlām fī al-Qurʾān*. Al-Kuwayt. Maṭābiʿ al-Hadaf.
Saʿīd al-Ṣawwāfī. (2011). "al-Qurʾān al-Karīm wa Istisyāf al-Qiyam al-Insāniyyah: Qīmat al-ʿAdl Unmūdhajan". *Majallat Waḥdat al-Ummah*, al-Jāmiʿah al-Islāmiyyah, Malaysia, al-mujallad al-awwal wa al-thānī, ṣ. 27–62.
Sihām Ḥammādī. (2018). *Maqṣad al-‘Adl wa Ātharuhu fī Ri‘āyat Ḥuqūq al-Insān: Dirāsah Lughawiyyah Bayāniyyah*. Al-Mujallad al-Sābi‘, *Majallat al-Syarīʿah wa al-Iqtiṣād*, ṣ. 80–105.
Wadud, A. (1999). *Qur'an and Woman: Rereading the Sacred Text from a Woman's Perspective*. Oxford: Oxford University Press.
Wizārat al-Awqāf as-Su‘ūdiyyah. (t.t.). *Al-Qiyam al-Islāmiyyah*. [Diterbitkan di situs web Wizārat al-Awqāf as-Su‘ūdiyyah].
Zuhayr al-Aʿrajī. (1407 H/1987 M). *al-Akhlāq al-Qurʾāniyyah* (T.1). Bayrūt. Dār al-Zahrāʾ.